في هذا النموذج نلاحظ تحولات اقتصادية متنوعة جدا تبعا للظروف العامة المحيطة بعملية الاستقرار هذه ، نجد مثلا القبائل التي زرعت الارض حبوبا باساليب غالبا ما تكون بدائية في اشهر معينة من السنة ثم عاودت الانتقال مع قطعانها في الاشهر الباقية بحثا عن الدفء والمراعي والمياه ، ثم عادت لتحصد محاصيلها ، كما نجد ان انتقال بعض القبائل الزراعية كان عبر انتقال فئتها العليا ، شيوخها ، نحو استثمار الارض اعتمادا ، لا على القبيلة وانما على الفلاحين او البدو والآيلين الى الزراعة مع استمرار باقي القبيلة في ممارسة طابعها الرعوي الصرف ، وانتقال القبيلة تدريجيا وفي آخر المطاف نحو الزراعة، اثر مرحلة مديدة نسبيا · العدوان مثال على ذلك وكذلك بني صخر ، ان قبيلة بني صخر لم تنتقل الى الزراعة الا تدريجيا واكثر من ذلك ارتبط استقرار زعيمها واهتمامه بالزراعة بانقسام القبيلة الى بطنين وبالانشقاق على الزعامة نفسها (٦٨) ·

مهدت عملية استقرار البدو في الارض نصفيا او كليا لانفراز الفئة العليا عن باقي القبيلة وتحويلها الى زعامة شبه اقطاعية مالكة للارض وان ظلت لفترة طويلة محافظة على اسس الزعامة القبلية ، لكن سرعان ما كان هذا الانتقال نحو زراعة الارض يبذر بذور التفكك في النظام المشاعي وفي الملكية المشاعية ، هذا التفكك الذي يستمر طويلا حتى يفرز نفسه على صعيد الوعي الايديولوجي والبناء الفوقي عامة ، في مستوى جديد من العلاقات والنظرات والاعتقادات · يطرح هذا النموذج مستوى اعلى جديد من تقسيم العمل بين الرعي والزراعة ثم بين الزراعة والاعمال المرتبطة بها ، حيث تظهر اعمال حرفية مجاورة ·

لكن الاستقرار في الارض لا يعني دائما افتقار القبيلة لقدرتها العسكرية القتالية، بشكل يجعلها معنية بمواصلة حياتها الجديدة في ظروف سلمية تامة،اذ ان ضيق المساحة قياسا بحاجات السكان وازمة الاقتصاد البدوي نفسه ، اي عدم قدرته دائما على تجديد انتاجه البسيط بفعل الجفاف وانحباس الامطار ، يجعل الصراع من اجل الارض والمياه ، اي الغزو ورد الغزو عملية دائمة ، لذا فان القبيلة التي تستقر نصفيا ، ثم كليا في الارض ، مدعوة دوما للحفاظ عليها في وجه الغزو المحتمل في اي وقت ،وغالبا اثر كارثة طبيعية · عدا عن ان تدن تنامي المصالح الخاصة لزعماء القبائل يستثير فيهم الغزو سواء كانوا رعويين صرف او نصف زراعيين ، هذا ما يبرزه مثلا الوضع في جنوب البلاد (الكرك) والمناطق

---

(٦٨) راجع فردريك بيك ، ص ٢١٩ ·